إن "العمران البشري" هو - ذلك المفهوم الخلدوني العظيم - هو جسد ضخم. فما هي الدورة الدموية التي تجعل هذا الجسد حياً ونابضاً؟ إنها الحركة الاقتصادية !اليوم، سنغوص في عمق الرؤية الاقتصادية لابن خلدون، التي لم تكن مجرد آراء متناثرة، بل كانت نظرية متكاملة تربط بين الاقتصاد والمجتمع والدولة برباط لا ينفصم.

(1) الإطار النظري: الاقتصاد السياسي الخلدوني:

ينطلق ابن خلدون من رؤية أوسع" :علم العمران البشري ."فالاقتصاد جزء عضوي من هذا العلم، يحكمه نفس المنطق والقوانين. وهو يربط بشكل منهجي بين:

- نمط العمران بدوي/حضري
- النشاط الاقتصادي معاش، صنائع، تجارة
- هيكل الدولة وسياستها المالية
- الثروة والفقر كظواهر اجتماعية وليست قدرات فردية بحتة

(2) نظرية المعاش: فلسفة الكسب والثراء

<u>أولاً: تعريف المعاش وأشكاله:</u>

المعاش هو "سبب العيش والكسب"، ويميز ابن خلدون بين نوعين رئيسيين:

1. المعاش الطبيعي (الضروري):
   - مصادره :الزراعة، الرعي، الصيد.
   - خصائصه :بسيط، مباشر، لا يتطلب مهارات معقدة.
   - قيمته" :أصل العمران"، لكنه لا يولد فائضاً كبيراً.
2. المعاش الحضاري (الكسبي):
   - مصادره :الصناعة، التجارة، البناء، الخدمات.
   - خصائصه :معقد، يتطلب تخصصاً ومهارة.

- قيمته :يولد ثروة أكبر وهو "علامة الرقي الحضاري."

ثانياً: قوانين الكسب والثراء:

1. قانون العمل كمصدر للقيمة:

- المبدأ" :فإن الكسب هو قيمة الأعمال البشرية". هنا يسبق ابن خلدون آدم سميث بقرون في التأكيد على أن العمل البشري هو مصدر القيمة الحقيقي.
- التطبيق :كلما كان العمل أكثر تعقيداً وتخصصاً، كانت قيمته أعلى.

2. قانون تراكم رأس المال:

- المبدأ :الفائض من الكسب يجب أن يعاد استثماره لتحقيق نمو أكبر. يدعو إلى "توظيف الفائض في تنمية المشاريع."

3. قانون العلاقة بين نمط العمران ونمط المعاش:

- البدو :يعيشون على المعاش الطبيعي (زراعة، رعي).
- الحضر :يعيشون على المعاش الحضاري (صناعة، تجارة، خدمات).

(3) نظرية الصنائع: تقسيم العمل وسوسيولوجيا المهن:

أولاً: تقسيم العمل كأساس للتقدم:

- الرؤية الخلدونية :يرى أن تطور الحضارة يؤدي حتماً إلى تقسيم العمل وتخصص الأفراد في حرف ومهن مختلفة.
- السبب" :لأن الإنسان لا يستطيع أن يقوم بجميع حاجاته بنفسه."
- النتيجة :يؤدي التخصص إلى:
  - إتقان أكبر للحرفة
  - زيادة في الإنتاجية
  - تنوع في السلع والخدمات

- تراكم الخبرات والمعارف

ثانياً: سلم الصنائع والحرف:

يصنف ابن خلدون الصنائع حسب قيمتها الاجتماعية والمهارية:

1. الصنائع الأساسية :(الزراعة، البناء) - ضرورية للبقاء
2. الصنائع الحرفية :(النسيج، الحدادة، الخياطة) - تخدم الحاجات اليومية
3. الصنائع الفنية :(التطريز، النقش، الزخرفة) - تدل على الترف والرفاهية
4. الصنائع العلمية :(التعليم، الطب، القضاء) - أعلى المراتب

ثالثاً: العلاقة بين الصنائع والتحضر:

- قانون التخصص الحضاري" :كلما كثر السكان في الحضر، كثرت الحرف وتنوعت."
- قانون الجودة والإتقان :يؤدي التخصص والمنافسة في المدن إلى تحسين جودة المنتجات.

(4) نظرية الأسعار: تحليل السوق والتضخم

أولاً: نظرية القيمة والسعر:

- القيمة :تتحدد بالعمل البشري والتكاليف.
- السعر :يتحدد في السوق عبر آليتين:

1. (التكاليف) : العمل، المواد الخام، النقل
2. العرض والطلب" :وذلك أن الأسعار إنما تكون بقلة السلع وكثرتها، وكثرة الطالب لها وقلتهم"

ثانياً: أنواع الأسعاروأسباب اختلافها:

1. الأسعار في البادية :منخفضة بسبب:
   - قلة الحاجات
   - بساطة الحياة

- قلة الوساطة بين المنتج والمستهلك

2. الأسعار في الحضر :مرتفعة بسبب:
   - كثرة الحاجات والرغبات
   - تعدد الوسطاء
   - ارتفاع تكاليف المعيشة
   - تنوع السلع وجودتها

ثالثاً: تحليل التضخم وأسبابه:

يقدم ابن خلدون تحليلاً دقيقاً لأسباب الغلاء (التضخم):

1. تضخم الطلب:
   - سبب: "كثرة الأموال في أيدي الناس" مع قلة السلع
   - مثال: عندما تتدفق الثروات على العاصمة من الأقاليم
2. تضخم التكاليف:
   - سبب: ارتفاع تكاليف الإنتاج والنقل
   - مثال: عندما تكون المدينة بعيدة عن مصادر الإنتاج
3. تضخم احتكاري:
   - سبب: احتكار السلع والتجار
   - مثال: عندما يحتكر كبار التجار سلعة أساسية
4. تضخم إداري (الأخطر):
   - سبب: "كثرة الجبايات (الضرائب) والمغارم
   - الآلية: تفرض الدولة ضرائب باهظة ⟵ ترفع التجار الأسعار ⟵ تفرض الدولة ضرائب جديدة ⟵ تدخل في حلقة مفرغة.

(5) **السياسة المالية للدولة: بين العدالة والاستقرار:**

أولاً: نظرية الضرائب الخلدونية:

1. الضرائب المعتدلة :تحفز النشاط الاقتصادي وتزيد الإيرادات على المدى الطويل
2. الضرائب الباهظة :تقتل الحافز لدى المنتجين والتجار ← تنكمش الأسواق ← تقل الإيرادات ← تضعف الدولة

ثانياً: قانون تناقص العوائد الضريبية

يقدم ابن خلدون نظرية مذهلة في الاقتصاد العام:

- في بداية الدولة :الضرائب قليلة ← النشاط الاقتصادي يزدهر ← الإيرادات تزيد
- في أوج الدولة :تزيد الضرائب ← يتباطأ النمو ← تثبت الإيرادات
- في طور الانحلال :تشتد الضرائب ← ينكمش الاقتصاد ← تنخفض الإيرادات رغم زيادة معدلات الضرائب

ما قيمة هذه الأفكار في عصر الرأسمالية العالمية والاقتصاد الرقمي؟

دعونا نرى:

- نظرية العمل :لا تزال أساسية في فهم قيمة السلع والخدمات
- تقسيم العمل :وصل إلى مستويات غير مسبوقة في الاقتصاد العالمي
- تحليل التضخم :تساعدنا في فهم أزمات الاقتصاد المعاصر
- نظرية الضرائب :تشرح لماذا تفشل بعض الدول رغم مواردها
- الربط بين الاقتصاد والمجتمع :يذكرنا بأن النمو الاقتصادي ليس هدفاً في حد ذاته، بل هو وسلة لتحقيق العمران البشري الشامل

إن عبقرية ابن خلدون تكمن في كونه قدم اقتصاداً سياسياً متكاملاً يربط بين:

- (النشاط الاقتصادي الفردي)المعاش

- (التنظيم الاجتماعي)الصنائع
- (سياسات الدولة)الضرائب والأسعار

إنها رؤية شاملة تذكرنا بأن الاقتصاد الناجح هو ذلك الذي يخدم المجتمع، ويقوي الدولة، ويحقق العدالة، ولا يتحول إلى غاية في حد ذاته.